الاسلوب وتخفّ على القلوب . ويكثر المرغوب ويحصل منها المطلوب . وعلى الله تعالى غفران الذنوب بما انهُ الملك المرهوب . وعليهِ الاتكال

ابن الامس ورجل الغد

خواطر بقلم « ابن عشرين »

الاديب ا . م . احد المتخرجين في كليتنا

في الخامس عشر من شهر تموز الفائت عند الساعة السادسة مساء بينما الموسيقى تعزف بالحانها المطربة واصوات التهليل تخرقُ كبد السماء تحت اقواس النصر الخضراء وسعوف النخل الباسقة خطوتُ اول خطوةٍ خارجَ جُدران المدرسة التي تخرَّجت فيها وعلى جبيني اكليل الظفر وفي يدي الشهادة النهائية غنيمتي المكتسبة بعد قراع وكفاح ثماني سنوات . . . .

خرجتُ على عربة فاخرة يقلُّها جوادان فخرَقتْ الجمعَ المحتشدَ وسارت تطوف مدينة بيروت . . . فحسبتُني احد قوَّاد الرومان المظفرين صاعداً الى هيكل الكابيتول ليقدّم للآلهة المحرقات وهو مكلَّل بالغار على مركبة النصر يجرّها اربعة من الخيول المطهَّمة والشعب يهلّل والجنود تحيط بهِ بين لمع الصوارم وبريق الخوذ وصرير الاسلحة وصهيل الخيل وجلبة القوم . . . .

تلك زهوة مضت وصورةٌ انمحت وخيالٌ قد زال فكأنهُ برقٌ خُلَّب . . . زيَّنتهُ الخيلاء ولعبت باشباحهِ كما راق لها . . . مرَّت تلك الساعة ولم يبقَ منها سوى ذكراها . .

صعدتُ الى الكابيتول المسيحي اي جبل الرب فجثوت في كنيستهِ وجثا معي كل من يحبني واجبهُ فرفعتُ محرقةً روحية على مذبح إلهِ الجنود ورب النصر . . . رفعت اليهِ عقلي وارادتي وقلبي وسألتهُ ان يجعلَ في نفسي ما يليقُ بمسيحيّ ابن عشرين . . .

*

والآن انا في الغرفة وحدي امام كتبي واوراقي والسكون حولي سائد . تتكسَّرُ عند عَتَبَتي آخرُ ضوضاء الازقة ويضمحلُّ عند الباب صدى الجلبة وضجيج الاسواق . . عدتُ الى نفسي وقلتُ لنكتب . . .

لنكتب . . . ولكن ليس من بضاعة المخيّلة او تزويق الكلام بل من حقيقة الحال وزبدة الافكار . . هي افكاري أُبديها . افكار ابن عشرين كان بالامس على مقاعد المدرسة يستفزّهُ نظم الشعراء ويصفّق للخطباء ويناجي الفلاسفة ويتصفّح التاريخ فيجوب الدنيا مع الفاتحين والمكتشفين ويقلّب الكرة الارضية مع علماء الجيولوجية ويرصد الفلك الدوّار ويختلس اسرار الطبيعة مع الطبيعيين . . . ها هوذا يُلفي نفسهُ منفردًا وسط هذا العالم بعد ان جابهُ بالفكر وقلبهُ ظهرًا لبطن وهو لم يبرح من مكانهِ

ربّتهُ المدرسة اعوامًا . لقّنتهُ ما جرى في قديم الزمان . علّمتهُ كيف تسيرُ الحوادث وكيف يعرك الامور وتعركهُ وكيف يذلّلها بحزمهِ وشهامتهِ . ارتهُ الفضيلة في رجال الفضل فحبّبتها اليهِ . والرذيلة في اهل السوء فبغّضتها لديهِ . وما نفوره من الرذيلة ومحبّتهُ للفضيلة الّا بسلامة الطبع وجودة العقل . انما هناك ارادة ان لم تُقوَّم اعوجّت . وان لم تُدرَأ في سواء السبيل شردّت في مهامهِ الغواية . . . . فسمع في باطن ضميرهِ صوتًا يقول لهُ : شدّد ارادتك بالحزم وكن رجلًا

والقلب . . . آه من القلب . . . ما ارقّهُ وما اقساه . . . ما اصلحهُ وما افسده هو نبعٌ ان لم يطفح منهُ الماء الزلال تبجّس بالماء الاجاج وطفح بالمكر . . . وان لم يدرّ عسلًا درّ علقمًا . لكن ان تربّى وتهذّب كان معدن الشهامة ومصدر الافكار السامية

قضيت ثماني سنوات أدّخرُ ما يُدّخر واصلح ما يُصطلح استرشد الاماثل واقتفي معالم الافاضل وها انا خارجٌ الى معترك الأيام اعرضُ عزيمتي على محك صعابها واجلي فكرتي بدرسِ طباعها المتقلّبة وأجرّب قلبي بمخالطة ابنائها لارى هل انا من رباطة الجأش وثبات العزيمة على شيء

كنت انظر الى الحياة كما ينظر اليها كل تلميذ فاراها باسمة وضّاحة الجبين . . . وسلّم يتصعدُ عليهِ كلُّ من شاء وفي اعلاه الغنى والشرف والنصر والسرور . . .

هكذا كانت المخيّلة تروّقها لي فاصدّقها لانني كنتُ اذ ذاك ابن المخيّلة . واما الآن فانا امام الحقيقة الرضيّة . لم اعد ابنَ الامس انما انا رجل الغد

تسلحت بالفكر خوض الحوادث وعمًا قليل اخوضها بالعمل . . .

احبُّ هذا العراك عراك الحياة واشتاق اليهِ بكل قواي وقد قيل : « الرجل رجل العمل لا رجل الامل » قد خاض غباره اجدادي ولم يكونوا جبناء وانني لاشعر في عروقي

بدم يغلي هو دم الذين صادمتهم الأيام فصدموها . وغالبتهم الحوادث فغلبوها ولكن كم أصيبوا بجراح وبلغت قلوبهم الحناجر قبل ان يدركوا السنين من عمرهم ولست انا سوى ابن العشرين . . .

لذة شعرت بها يوم قيل لي : لم تعد تلميذاً انما انت رجل . . . بهذا اليوم تدرعت بالصبر وتنكبت قوس الدربة واعتقلت رمح الاقدام وسللت صارم العزيمة وامتطيت صهوة جواد ضامر . . جواد الشيبة قد استراح للقتال عن بعد وصاح : ها . . فدفعت به الى الامام فقال : هيا الى الحلبة . . . وما في الحلبة ؟ . . .

أقدام تزدحم وراء اصفر رنان . عزائم تتصادم طمعاً بمقام خطير وشرف باذخ . عقول تبرز افكارها فتشتبك الافكار بالافكار . اقلام مشحوذة ارهف من سيف ذي حدين تطاعن دون الاقوال . . فاي معمعة اخوضها واي حرب اصطلي بنارها ؟ . .

انا ابن عشرين بخل الدهر علي بالمال ورفعة الشان . سليل عائلة لم تعرف الا الجد والتعب لكسب المعيشة . حسبها مخافة الله ونسبها ثباتها في الدين . لم تملك من حطام الدنيا الا ما يسد رمقها فما انا بغير خطتها . . . أدع المال لمن يتهافت اليه . ورفعة الشأن لمن يتطلبها . . . في رأسي عقل وفي يميني قلم . فأكتب . . .

الآمال واسعة . والمواضيع اوسع . واللغة بحر خضم لا تبخل علي بالكلام . واولو الادب والعلم والحمد لله في عصرنا كثيرون . فماذا اكتب ؟ . . . سأكتب للمحاماة عن الدين ولنصرة الحق . اكتب للدفاع عن المظلوم . لرفع شان الادب . لخدمة الوطن . لمنفعة اهل جلدتي . . . بحول الله

اما ما يخبئه لي الدهر فلا اعبأ به . . . انصر ام قهر ؟ . . . اقبال ام ادبار ؟ . . . أحياة ام موت ؟ . . . هذا سر الله وغاية ما اعرف ان من اتكل عليه لا يخيب

مطبوعات شرقية جديدة

H. Vincent. O.P.: CANAAN D'APRÈS L'EXPLORATION RÉCENTE. (Collection « Etudes bibliques »). XII —495 pp., gr. 8° ; 11 planches hors texte et 310 fig., *Lecoffre-Gabalda*, 1907.

بلاد كنعان وفقاً للاكتشافات الحديثة

قد توفرت المنشورات الحديثة التي تفيدنا عما يكتشفه الاثريون كل يوم في انحاء